التربية بالقصة [1]

القصة نوع من الأدب له جماله وسحره ومتعته. يشغف به الصغار والكبار. ولقد تفنن القصاص عبر العصور في امتلاك ناصية الجمهور من خلال قصص مفتلعة ، قد يكون لها أساس وقد لايكون، شغلوا بها الناس وضيعوا لهم أوقاتهم ، وصار الناس منقسمين مع أبطال القصة ، يؤيد هذا الفريق بطلا ، ويؤيد الفريق الآخر بطلا، ولقد أخرج سيدنا علي ﷺ القصاص (من هذا الصنف) من مسجد جامع البصرة [2] .

والقصة في القرآن الكريم ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في بقية القصص الفنية، إنما هي وسيلة من وسائل التربية الإسلامية [3] . التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية من خلال توصيل المعلومات والحقائق بطريقة شيقة لذيذة، وتربية الأطفال تربية خلقية صحيحة فهي تضع المثل أمامهم وتستثير ميلهم إلى التقليد وتحرك قابليتهم للاستهواء [4] .

والإسلام يدرك هذا الميل الفطري للقصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فاستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم .

وهو يستخدم كل أنواع القصة : القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها . والقصة الواقعية التي تعرض نموذجا لحالة بشرية ، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج .

والقصة التمثيلية : التي لا تمثل واقعة بذاتها ، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور .

---

(١) التربية ودورها فى تشكيل السلوك : مصطفى محمد الطحان .
(٢) إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالى ١/ ٤٦ .
(٣) التصوير الفنى فى القرآن : سيد قطب ص ١١٧ .
(٤) التربية وطرق التدريس : صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد ١/ ٢٤٧ .

من النوع الأول كل من قصص الأنبياء ، وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من جرَّاء هذا التكذيب . وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر: موسى وفرعون ، عيسى وبني إسرائيل ، صالح وثمود، هود وعاد ، شعيب ومدين . لوط وقريته ، نوح وقومه ، إبراهيم وإسماعيل ... إلخ .

ومن النوع الثاني قصة ابني آدم :

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] .

ومن النوع الأخير قصة صاحب الجنتين :

﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[2] .

---

(١) المائدة .

(٢) الكهف .

والقرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي : تربية الروح ، وتربية العقل ، وتربية الجسم ، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس ، والتربية بالقدوة ، والتربية بالموعظة ، فهي سجل حافل لجميع التوجيهات [1] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [2] .

وقال أيضا : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [3] .

لقد كان في قصصهم عبرة :

والقرآن الكريم لا يسوق من القصة إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت من أجله، كي تظل العلاقة وثيقة بين القصة والمناسبة الداعية لذكرها . من أجل ذلك لا نكاد نجد القرآن يسرد القصة سردا تاريخيا تبعا لسلسلة الوقائع والأحداث ، إذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارئ عن المناسبة والغرض الأصلي .

في قصة أصحاب الكهف ، قال القرآن الكريم : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [4] . من هؤلاء القوم ، وفي أي بلدة كانوا يعيشون ، وكم كان عددهم ، وما هي أسماؤهم؟

لقد كان مقتضى السرد التاريخي أن تجيب القصة عن هذه الأسئلة كلها، ولكنها لو سرت على هذا المنوال ، لغفل القارئ عن العبرة والعظة اللتين سيقت القصة من أجلهما. وحتى لا يندمج القارئ مع أحداث القصة وينصرف إليها بكل تفكيره، نجد القرآن الكريم يقطع أحداثها بالعظات والعبر التي يريد أن يلفت النظر إليها .

---

(١) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ١/ ١٩٣ .
(٢) آل عمران : ٦٢ .
(٣) يوسف : ٣ .
(٤) الكهف : ١٣ .

قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ [1] .

لقد أدخل العبارات الإرشادية والعبرة ضمن أحداث القصة ، ليلفت النظر لها، فقد سيقت القصة من أجلها [2] .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [3] .

وقال أيضا : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [4] .

فأهداف دراسة التاريخ من وجهة النظر التربوية هي :

- البحث عن العبرة في الحدث التاريخي .
- والبحث عن تحقيق سنة من سنن الله في الأمم والأجيال ، فأحداث التاريخ لا تمضي عبثا بل وفق سنن لا تتخلف ، المقدمات فيها تفضي إلى النتائج المقررة .
- والبحث عن أثر إصلاح النفس البشرية وتربيتها في مجرى الحوادث التاريخية: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [5] .
- والبحث عن حكمة الله وتدبيره في ضرب الظالمين : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [6] .

---

(١) يوسف .
(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها : عبد الرحمن النحلاوى .
(٣) يوسف : ١١١ .
(٤) النازعات : ٢٦ .
(٥) الأنفال : ٥٣ .
(٦) الحج : ٤٠ .

- وبشرى للمؤمنين الذين يأخذون بالأسباب، بنصر الله .

- ومعرفة أن الغاية من القوة والغلبة والتمكين في الأرض هي إقامة شرع الله ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1] .

- والبحث عن الموازين الربانية في الأحداث التاريخية، مما يمكن الدارس للتاريخ الذي تعرف على السنن الربانية من معرفة صواب الأحداث من خطئها، ومن تمديد ذلك إلى أحداث المستقبل [2] .

وعلى المربي : أن يشجع الشباب على قراءة السير ، وأن يختار القصص التي تنمي المواهب المختلفة على أن تكون بعيدة عن الإسفاف والسفه وإثارة الغرائز ، وأن تكون واضحة المعنى بينة الحكمة خالية من الخرافات والأساطير مقتصرة على الحقائق سواء كانت علمية أو تاريخية بأسلوب مهذب رقيق رفيع مفهوم وشيق ورشيق [3] .

---

(١) الحج : ٤١ .
(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها : عبد الرحمن النحلاوى (بتصرف) .
(٣) المراهقون : سمير الراضى ص ١٠٤ .

obeikandl.com